

المحاضرة الثالثة :

قضية الالتزام في الشعر العربي الحديث والمعاصر

تمهيد:

إن فكرة الالتزام في الأدب فكرة حديثة ، لم يعرفها التراث القديم ، وقد ارتبط مفهوم الالتزام بمفهوم الأدب نفسه ومدى علاقته بالحياة وبالذور الذي يقوم به الأدب في توجيه هذه الحياة .

لقد نشأت فكرة الالتزام في العصور الحديثة نتيجة احتكاك الأديب بمشكلات الحياة التي يعيشها ، وإدراكه لخطورة الدور الذي يقوم به إزاء هذه المشكلات ، ومن ثم تحدد مفهوم الأدب في العصر الحديث بأنه : " نقد للحياة " أو " تفسير لها " ، ومعنى ذلك ضرورة احتكاك الأديب بمشكلات عصره وقضاياها ، حتى يتمكن من أن يجعل من قوة التعبير الفني وسيلة فعالة في تنبيه النفوس إلى ما هي رازحة فيه ، وتوعيتها بواقعها ومصيرها .

1- مفهوم الالتزام :

أ- لغة : ورد في لسان العرب " لزم الشيء يلزمه والتزمه وألزمه إياه فالتزمه " ، والالتزام هو التعلق وعدم المفارقة ، ويعني كذلك " التزم بمعنى لازمه وفلانا اعتنقة ، والعمل والمال أوجبه على نفسه " ، أي إن الالتزام بمعنى الاعتناق والترابط والتعاقد .

ب- اصطلاحاً : ظهر مصطلح الالتزام في الشعر العربي الحديث مقترناً بالثورات العربية التحريرية ، ولا يقتصر الالتزام كظاهرة أدبية على أمة دون أخرى ، إذ إن " فكرة الالتزام معروفة في الآداب الأوروبية ، وكثر حولها النقاش في أدبنا العربي الحديث والمقصود من هذه المسألة هو أن يكون الاتصال وثيقاً بين الأديب وبين قضايا مجتمعه ."

وقد يعني الالتزام مشاركة الشاعر أو الأديب الناس همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية والوقوف بحزم لمواجهة ما يتطلبه ذلك ، إلى حد إنكار الذات في سبيل ما التزم به الشاعر أو الأديب ، ثم إن الالتزام يقوم في الدرجة الأولى

على "الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان ، وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحاً وإخلاصاً وصدقاً واستعداداً من المفكر ، لأن يحافظ على التزامه دائماً ، وتحمل كامل التبعة التي تترتب على هذا الالتزام " .

تحدث جان بول سارتر (أشهر أعلام المذهب الوجودي) عن الأديب الملتزم قائلاً : " مما لا ريب فيه أن الأثر المكتوب واقعة اجتماعية ولا بد أن يكون الكاتب مقتنعاً ، حتى قبل أن يتناول القلم ، إذ عليه أن يشعر بمدى مسؤوليته ، وهو مسؤول عن كل شيء ، عن الحروب الرابحة أو الخاسرة ، عن التمرد والقمع ، إنه متواطئ مع المضطهدين إن لم يكن الحليف الطبيعي للمضطهدين " .

ويعرف محمد مصايف الأدب الملتزم بقوله : " ما ارتبط بقضايا الطبقة العاملة في المجتمع " ، أما الأديب الملتزم " فعليه أن يكون لسان طبقة معينة وأيديولوجية معينة " . في حين يرى أحمد طالب أن الأدب الملتزم هو " الذي يسعى إلى توجيه الجماهير إلى واقع اجتماعي وأدبي أفضل " .

2- نماذج عن الالتزام في الشعر العربي الحديث :

ظهر في العصر الحديث شعراء ملتزمون بقضايا شعوبهم ومجتمعاتهم ، وظهر بذلك مصطلح " الالتزام في الشعر " ، خاصة بعد أن بشرت الثورات في الوطن العربي بانقلاب جذري سيمس جوانب مختلف من الحياة ، ولكن وقف المواطن العربي على واقع غير الذي كان ينتظره بعد أن استقلت معظم الأقطار العربية ، فظهرت نخبة من الشعراء الملتزمين الذين عبروا عن قضايا مجتمعاتهم منطلقين من ضرورة التغيير للظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ... في أوطانهم .

يؤكد الشاعر محمود درويش على عدم انفصال الشعر عن الواقع فهو يصرح قائلاً : " وأنا أعتبر أن المصدر الأول للشعر في تجربتي الشخصية هو الواقع ، وأخلق رموزي من هذا الواقع " ، وعن علاقة شعره بالواقع يقول : " هذه هي علاقتي بمعادلة الواقع التي أستخرج منها حريتي من جهة ، وقابلية الواقع للتحرر والتغيير من جهة أخرى " .

استمدت جل أعمال الشاعر محمود درويش مرجعيتها من واقع فلسطين و ما يعانیه شعبها جراء الاحتلال الصهيوني ، لذا كان الشاعر ناقما على تلك الأوضاع ، ملتزما بقضايا وطنه ، وهذا ما تشير إليه الكثير من أعماله ، مثل قصيدة "إلى القارئ" من ديوان (أوراق الزيتون : 1964) يقول :

الزنبقات السود في قلبي

و في شفتي ...اللهب

من أي غاب جئتني

يا كل صلبان الغضب ؟

بايعت أحزاني

و صافحت التشرد و السغب

غضب يدي ...

غضب فمي ...

و دماء أوردتي عصير من غضب !

ويبدو موقف الشاعر من قضية وطنه وتعلقه به بارزا من خلال قصيدة "وطن"

من ديوان (آخر الليل 1967) ، يقول :

علقوني على جدائل نخلة

و اشنقوني...فلن أخون النخلة !

هذه الأرض لي ...و كنت قديما

أحلب النوق راضيا و موله

وطني ليس حزمة من حكايا

ليس ذكرى ، و ليس حقل أهله

وطني ليس قصة أو نشيدا

ليس ضوءا على سوائف فلة

وطني غضبة الغريب على الحزن

و طفل يريد عيداً و قبلة

وينتاطع شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا مع محمود درويش في تبني قضية أمته والدفاع عنها ، فقد واكب شعره بحماسة الواقع الجزائري، بل الواقع في المغرب العربي في كل مراحل الكفاح منذ سنة 1925م إلى سنة 1977م .
واكب شعر مفدي زكريا الثورة منذ عودته من تونس في 1926م، كما ساند الحركة الإصلاحية التي أنشأها علماء الجزائر والتي كانت الخطوة التمهيدية لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ، كما انضم إلى حزب نجم شمال إفريقيا ومن ثم إلى حزب الشعب الجزائري، وبعد ذلك تولى مهمة رئاسة تحرير مجلة الشعب التابعة للحزب، ومن ثم تولى منصب الأمين العام للنشاط السياسي؛ ليقع على إثر ذلك في يد الفرنسيين بعد قيامه مع عدد من رفاقه بمسيرة جماهيرية حاشدة، شارك فيها أكثر من عشرة آلاف مواطن جزائري، جابت شوارع الجزائر وهتفت بـ:

ألا في سبيل الحرية	فداء الجزائر روجي ومالي
ونجم شمال إفريقية	فليحي حزب الشعب الغالي
مثال الفداء والوطنية	وليحي جند الاستقلال
ولتحي فيها العربية	ولتحي الجزائر مثل الهلال

نظم مفدي زكريا شعره من أجل وطنه حاملاً شعلة الحرية، مناصراً للمناضلين، مشاركاً معهم في نضالهم وملازماً لهم في كفاحهم ، يقول :

يا فرنسا لا تجهلينا فإننا	أمة تبغض الشقا والقيودا
انصفينا حق الحياة فإننا	قد نهضنا لا نطيق ركودا
قد سئنا حياة ظلم و جور	و سئنا الخراب و التبديدا

إن شعر الالتزام العربي متنوع في انتمائه إلى اتجاهات شعرية مختلفة ، وهو شعر ينبع من قضايا الأمة ليعكس مشكلاتها ويعمل على حلها .